قال ابو البقاء ولا يمتنع ان يكون هولاء مبتداء والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد
فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة من اجل ما اتصل به وان كان ظرفا لان الفضلات في
بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو في داره فان في داره وان كان ظرفا لكنه لا بد ليعود
من الجملة ضمير الى المبتداء فصار بذلك كاحد شطري الجملة قوله اغويناهم فغووا
غيا مثل غينا حاصله انه لا فرق بين غينا وغيهم في ان كل واحد منهما بالاختيار
اما غينا فلان ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع اليه سواه لنا واما غيهم فلانه ما كان لهم
قاسر الجاهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغوائنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا
لا قسرا والجاء ولا فرق بين غينا وغيهم في ان كل واحد منهما وقع بالاختيار
قوله اى ما كانوا يعبدوننا اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم
لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان يكون ما مصدرية لا بد من تقدير حرف جر
اى تبرأنا مما كانوا اى من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المص قوله فدعوهم من فرط الحيرة
لا بناء على اعتقادات الاصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم عما اصابهم من العذاب
لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيمة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا يشفع
احد الا باذنه قال الامام والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون
الله لا فائدة في دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة
في النصرة وان العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ قوله يدفعون به العذاب
صفة لقوله لوجه من الحيل ولو كان جواب لو لقيل لرفعوا به العذاب بلفظ الماضي
لما رأوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لما رأوا العذاب والتقدير الجملة
لو كانوا يهتدون الى الحق في الدنيا لما رأوا العذاب في الاخرة او لو كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به ولما رأوه وعلى تقدير
ان يكون لو للتمني يكون المعنى ورأوا العذاب متمنين الاهتداء في الدنيا قوله
فانه تعالى لا يسال اولا عن اشراكهم بل توبيخا لهم من عبادة غير الله تعالى بناء على توقع
الشفاعة والنصرة منهم ثم عن تكذيبهم الانبياء تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر بينهما ما يقوله الشياطين او الرؤساء بناء على
انهم اذا دعوا العبادة الالهة كانوا يعتذرون بانهم استغووا ولقاء صدوا عن الهدى
وتبسوا الى اعبادتهم فحكى الله تعالى جواب الشياطين او الرؤساء لهم بقولهم انحن صددناكم عن
الهدى بعد اذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر قوله ادعوا شركائكم ما يشبه الشماتة

الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم فما وجه ارتباط الكلام
من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائي الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
قوله فصارت الانباء كالعمى عليهم اشارة الى ان الانباء استعارة بالكناية بان شبهت في
النفس بذوى الارادة المتوجهين الى شيء وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى عمى العين يقال
عمى يعمى عمى اذا اختل عينه وقولهم عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى
عن الانباء الى الكفار لكنه عكس مبالغة في نفي الجواب فان الاصل يوهم ان يتحقق الجواب في نفسه
وانهم لم يطلعوا عليه ظلال من قبلهم بخلاف العكس قوله يتعتعون بالجواب عن مثل هذا
السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
والتعتعة في الكلام التردد فيه من حصر او عي قوله تعالى لا يتساءلون كما يتساءل في المشكلات
اما لفرط الدهشة او لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب قوله فان
اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى لدخول اختيارهم في عموم قوله يخلق ما يشاء فان ما
يشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع ما يفعله العباد
من جميع الخيرات والطاعات التي من جملتها اختيار الطاعة ويدل عليه ايضا قوله تعالى
وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فلما كان جميع ذلك مما شاء الله لزم ان يكون مما
يخلق الله اذا اخبر انه يخلق الله ما يشاء فالاية حجة لنا على المعتزلة في مسئلة خلق العباد لانه
اذا كان الخيرات بمشية الله تعالى وجب كونها مخلوقة لله تعالى بحكم هذه قوله وقيل المراد
اى قيل ليس المراد نفي الاختيار عنهم راسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيئا من الامور
بل الخيرة لله تعالى في جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة في جميع ما فعله فيكون قوله ما كان لهم الخيرة
بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة او عروة بن مسعود الثقفي
من الطائف رد الله تعالى عليهم انه يختار ما يشاء لنبوته ورسالته اى فكان الخلق له
فالاختيار في النبوة اليه وليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شيئا من افعاله قوله وقيل ما
نفي هذا يوقف وربك يخلق ما يشاء ثم يبتداء بقوله ويختار ما كان لهم الخيرة بخلاف
ما اذا كانت كلمة ما حرف نفي فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ويبتداء
من قوله ما كان لهم الخيرة قوله عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به على الاول مصدرية
وعلى الثاني موصولة بتقدير المضاف قوله ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده لا بناء على الامر
التكليف وما يدل على التحميد في الاخرة هو وجه اللذة والكلفة ما روي عن جابر رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)